فتوى الجهاد بين التراث والمستقبل

م.د. علي نجم عبدالله الفياض
جامعة بغداد - كلية الاداب

ملخص البحث:
بعد الحمد لله والثناء على رسوله وأهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد:سوف نسلط الضوء في بحثنا الموسوم بعنوان (فتوى الجهاد بين التراث والمستقبل)، وقد تضمن البحث مقدمة وتمهيدا بعنوان (فضل الجهاد) وخصص للحديث عن تعريف الجهاد لغة وأصطلاح.
فقد كان المحور الأول بعنوان (مفهوم الجهاد في التراث)، وقد تتبعنا به الأثر الطيب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأئمة أهل البيت عليهم السلام، وأثر كلّ منهم في الجهاد، الذي أختلف عن حركات الفتوح منذ أن نشأت الخلافة وإلى نهاية العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢١٨ /٧٤٩-٨٣٣م) والى النصف الاول من القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي.
والمحور الثاني كان بعنوان (مواقف أسلاف الإمامية من الجهاد)، إذ ضم المحور المواقف المشرّفة لأسلاف الإمامية من الجهاد، سواء أ كانت في أوأخر عصر الدولة العثمانية أم في ظل الاحتلال البريطاني للعراق، أما المحور الثالث كان بعنوان (تأسيس الحشد الشعبي ودور فتوى المرجعية في تحقيق الانتصارات)، اذ ضم هذا المحوربداية تأسيس الحشد الشعبي ودور فتوى الجهاد الكفائي للمرجعية في دعم هذه المؤسسة وتاثيرها في رفع الروح المعنوية للمقاتلين. أما خاتمة البحث فقد تضمنت أهم توصيات البحث فضلا عن قائمة بأهمّ مراجع البحث.أن للجهاد معاني عدّة ، وإن القارئ للوهلة الأولى يخيل له أن الجهاد معناه القتال غير أن هناك معاني أخرى للجهاد وإن القتال من ضمنها.
كان الجهاد في بدء دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سلميا عن طريق الدعوة للدخول إلى الإسلام، وتبليغ قريش مبادئه، غير أن بعد أن أستهانوا بالنبي وأصحابه فضلا عن الدين وتعاليمه واضطهاد أصحابه ما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) إلى الهجرة للمدينة، فكان جميع الجهاد فيها دفاعيا وظل هذا المنهج في حياته الشريفة إلى وفاته.

وفي عهد أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وردت بعض اللمسات المضيئة التي حفظتها لنا كتب التراث،وفي ما يخص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كانت له مواقف مشرفة في ظل الخلفاء الثلاثة، وذلك في تبنيه جهاد الكلمة (كلمة الحق) غير أنّ في عهد خلافته ونظراً للأحداث التي مرت به، دعته إلى تغيير أسلوبه واعتمد الجهاد (السلاح) لدفع الأذى عن المسلمين فضلا عن أنه اتبع جهاد احقاق الحق في سياسته مع زعماء القبائل العربية , ولم يفرق في العطاء مع أقاربه، والناس كافة ,أما باقي أئمة أهل البيت بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) فإن لهم مواقف عدّة وآثار في الجهاد نظرا للظروف التي أحاطت بهم، وهذا ما سنحاول عرضه في ثنايا البحث، وفي ما يتعلق بأسلاف الإمامية فكانت لهم مواقف مشرفة يذكرها التاريخ،منها:

فتوى التبغ ضد شاه إيران، والموقف المشرف للمرجعية من الاحتلال الإيطالي لليبيا وكذلك وقوفها مع الدولة العثمانية في أواخر عصرها عندما استنجدت بها من الاحتلال البريطاني للعراق، وكان موقفها مشرفا وكذلك عند بداية الاحتلال البريطاني للعراق التي أثمرت عن فتواها الشهيرة ضده، والتي انتجت الثورة العراقية الكبرى التي كانت نبراسا خالدا في تاريخ العراق الحديث، وفي العهد الملكي برزت عدد من المواقف المشرفة للمرجعية , وكذلك في العهد الجمهوري كانت هناك مواقف مشهودة للمرجعية، ولاسيما في عهد السيد أبي القاسم الخوئي (رحمة الله عليه).

وقد سلطنا الضوء على الظروف التي قادت الى تأسيس هيئة الحشد الشعبي نتيجة سيطرة العصابات الارهابية على عدد من المحافظات العراقية ودور المرجعية العليا في اصدار فتوى الجهاد الكفائي التي كانت الضوء الاخضر لعامة الشعب في التطوع من اجل الالتحاق بجبهات القتال وصد العدوان الارهابي من قبل العصابات التكفيرية وتوجيهاتها الرشيدة ونصائحها للمقاتلين في تعزيز اللحمة الوطنية واعطاء الدافع المعنوي للمقاتلين في الدفاع عن الوطن كما تناولنا بعض القصص البطولية للمقاتلين

والتي افرزتها لنا هذه التجربة من صور مشرقة تجلت فيها صور الجود والايثار بالنفس لدى المقاتلين وتركهم اعمالهم ومصالحهم الخاصة وقوت يومهم ليلتحقوا بساحات الوغى ودور القواعد الشعبية في تقديم الدعم المعنوي والمادي لعوائل المناطق المحررة وللمقاتلين عن طريق حملات الدعم اللوجستي المستمرة ودور المواكب الحسينية في هذه الحملات كما تطرقنا الى المخاطر التي تتعرض لها هيئة الحشد الشعبي كونها اصبحت قوة عراقية اساسية تتمتع باستقلالها المعنوي والمادي وضرورة المحافظة عليها من قبل الدولة العراقية للدفاع عن سيادة العراق.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، التراث، الامامية، الفتوى الجهادية، الحشد الشعبي.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه اجمعين واما بعد .. لقد كان الجهاد من انبل السمات التي حث عليها الانبياء (عليهم السلام) وربحوا في فضلها اذا تعددت اصنافه في ظل الاسلام، حيث وردت بعض الفضائل عن النبي (صل الله عليه واله وسلم) واهل البيت عليهم السلام في فضله وورث اسلافهم فكرهم اذ كانت لهم مواقف مشرفة عبر التاريخ ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع فتوى الجهاد بين التراث والمستقبل.

نطاق البحث:

ان الهدف من الموضوع تعريف الباحثين بجزء من تراثنا المشرف، وكان سبب اختيارنا للموضوع يتمثل برفد حقل الدراسات التاريخية بما هو متجدد.

وتكمن اهمية الموضوع في تسليط الضوء على اثر فتوى الجهاد في حل المشاكل عبر التاريخ، واشتمل البحث على تمهيد وثلاثة محاور تسبقه مقدمة وتتلوه خاتمة فضلاً عن قائمة باهم مراجع البحث وخصص التمهيد للحديث عن فضل الجهاد واشتمل المحور الحديث عن اثر الجهاد في التراث وضم المحور الثاني اثر اسلاف الامامية في الجهاد وكرس المحور الثالث تأسيس الحشد الشعبي ودور فتوى المرجعية في تحقيق الانتصارات.

التمهيد:

فضل الجهاد، ورد في الديانات السماوية الحديث على الجهاد والتضحية في سبيل الله (السلمي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٥٤)، (الفياض، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م، ص ٨٩).

وان من لاحظ سيرة الانبياء العطرة ودقق في حيثياتها المباركة نجدهم ضحوا بذواتهم من اجل غاية انسانية سماوية (سلومي، ١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٦م، ص٢٣٩).

والجهاد معناه الدعوة الى الدين الحق ونقاتل من لم يقبله (الحنفي، ب.ت، ص٣٤٥)؛ (مصطفى واخرون، د.ت، ص١٤٢).

وفي الشرع يطلق على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، اما مجاهدة النفس فعلى تعلم امور الدين ثم على العمل بها، ثم تعليمها، اما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما تزينه من الشهوات، اما مجاهدة الكفار فتقع باليد، والمال، واللسان، والقلب (ابو حبيب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، ص٧١). يتضح لنا من الحديث السابق ان التضحية والجهاد من اسمى الصفات التي امتاز بها البشر على اختلاف انواعها وصفاتها.

المحور الاول: مفهوم الجهاد في التراث:

لم يأذن الله سبحانه وتعالى لرسوله في الحرب ولم تحلل له الدماء قبل بيعة العقبة الاولى وانما امر بالدعاء والصبر على الاذى والصفح عن الجهل (ابن هشام، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩)؛ (خيرو، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم ما بين مفتون في دينه وبين معذب في ايديهم وهارب في البلاد فراراً منهم (ابن هشام، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩)؛ (خيرو، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).

وانما عثت قريش على الله وردوا عليه ماارادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه (صل الله عليه وعلى اله وسلم) وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه (ابن هشام، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩). اذ اذن الله لرسوله في القتال والانتصار على من ظلمهم وبغي عليهم (ابن هشام، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٧٩)؛ (خيرو، ١٤٤٠هـ/

٢٠١٩م). وهذا مايدل على ان الاسلام لم يمتاز بطابع الحرب اذ لم يؤذن للمسلمين في القتال ضد الكفار الا بعد ان اصابهم العنت الكبير من قريشوكان ماحفظ عن رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) من اداب الجهاد ان رسول الله لا يبدأ قوم بالقتال الا بعد ان يعرض الاسلام عليهم ومما روي عنه (تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الارض من أهل بيت، من مدر ولا وبر، إلا أن تأتوني بهم مسلمين، أحب إلى من أن يأتوني بأبناهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم) (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٩، ص٤١٥).

لابد لنا من ان نشير الى ان الحديث الشريف الذي اوردنا انفاً اذ تضمن امور عديدة في ثناياه ومنها:

١. ان الرسول في توجيهاته الى المجاهدين رغب في اشاعة الامان والسلم.

٢. التأكيد على رغبته في نشر الاسلام بين القبائل وعدم ميله الى المكاسب الدنيوية والتي تتمثل بالحصول على الغنائم.

٣. عدم اخافة الامنين والمنع من الاستزادة في القتل.

وظل النبي (عليه السلام) محافظاً خلال حياته على اسلوبه في الحرب ولم يغيره الى وفاته، وورث عنه بعد ذلك أئمة اهل البيت عليهم السلام، اذ انهم الامتداد الطبيعي له (الواقدي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م؛ البلاذري، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م؛ الوائلي،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

وفي عصر أئمة اهل البيت عليهم السلام وردت عنهم بعض المأثورات في فضل الجهاد، وسنسلط الضوء على اثرهم في فضله (سبط ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م؛ ال ياسين، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م).

أولاً. الامام علي عليه السلام (ت: ٤٠ هـ/ ٦٦٠م).

وردت بعض الاشارات التاريخية والتي دلت على ان الامام علي ضحى بنفسه في سبيل نجاة الرسول (صل الله عليه واله وسلم) عند هجرته من مكة الى المدينة اذ بات في فراش النبي ليوهم قريش انه في فراشه وذكر الامام للرسول قائلاً: ((او تسلم في مبيتي هناك؟

قال (ص) نعم فتبسم عليّ ضاحكاً واهوى الى الارض ساجداً فلما رفع رأسه قالله امضي لما امرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي)) (ابن شهر اشوب، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، ص١٥٦).

يتضح لنا من خلال المحاورة التي اوردناها بين الامام والرسول ان الهدف منها ابانة مدى التضحية في سبيل نصرة الاسلام وهذا فن من فنون الجهاد.

وفي عصر الخلافة الراشدة ١١-٤٠هـ/ ٦٣٢-٦٦٠م وردت بعض المأثورات عن الامام ومنها انه نهى ابو سفيان صخر بن حرب (ت: ٣٢هـ/٦٥٢م) في حثه له على منازعة الخليفة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م) على منصب الخلافة (الوائلي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ورد عليه الامام ان طرده (السماوي، د.ت، ص٢٩٢).

يبدو لنا ان الامام قد فضل مصلحة الائمة على مصلحته الشخصية وفي رده جهاد للنفس الامارة بالسوء، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣٠هـ/ ٦٣٢-٦٤٣) اذ ورد له في حوار مع عبد الله بن العباس (ت: ٦٨هـ/٦٨٧م) انه منع الخلافة عن الامام رغبة في الحفاظ على الاسلام (الوردي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٩١). يبدو من الحوار الذي اوردناه ما ينطبق عليه المثل كلمة عدل يراد بها باطل، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥ هـ/ ٦٣٤-٦٥٥م) بث الامام شكواه وحزنه من ظلم قريش له اذ تزعم المعارضة ضدهم والتفت العرب حوله غير انه سرعان ما شدته العرب بعد توليه الخلافة (الوردي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٨٠).

يبدو ان الامام بمعارضته طبق نظام الجهاد ضد الظلم، وفي عهد خلافة الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٦-٦٦٠م) اتخذ فكراً مغايراً للجهاد عن ما تبعه مع الخلفاء اذ حاول ان يطبق سياسة العدل الاجتماعية وهذا ما دعى لاثارة الحاسدين عليه وتأليبهم عليه في الحروب التي خاضها من اجل مبدئه وهذ ما جعل في اواخر عهده اذا انفض عنه زعماء القبائل فضلاً عن بعض اقاربه (الوردي، ١٤١٦هـ/

١٩٩٥م، ص٢٠٢؛ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م؛ اليوزبكي، ١٣٩٧هـ/١٩٩٧م، ص٦٦؛ العسكري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٢٢٢؛ الفياض، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٥٤).

ثانياً. الامام الحسن (عليه السلام) (٥٠هـ-٦٧٠م).

وبعد استشهاد الامام عليه وتولي ابنه الخلافة لفترة قصيرة اذ واجهته ظروف عصيبة تدعوه الى صلح معاوية بن ابي سفيان عن الخلافة (ابن الطفطفي، ١٩٦٦م، ص؛ الفياض، ١٩٧٠م/ ص١٨١-١٨٣). لابد لنا من ان نشير ان تنازل الامام لون من الوان الجهاد وذلك لحفظ دماء المسلمين من السفك.

ثالثاً. الامام الحسين عليه السلام (ت: ٦١هـ/ ٦٨١م).

وفي عهد الامام الحسين اذ اتخذ فكراً مغايراً في الجهاد عن سلفه وضحى في سبيل ذلك باهله واصحابه في واقعة الطف اذ خلد عبر التاريخ (المسعودي،١٤١٠هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٥٥؛ سيط ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٣١٨).

رابعاً. علي بن الحسين (ت: ٩٥هـ/ ٧١٣م).

وبعد استشهاد الامام الحسين في واقعة الطف وما وصل بالسبايا بعده من كره، وعند عودة الامام السجاد الى المدينة من بلاد الشام اتخذ منهاجاً مغايراً للجهاد تمثل في سياسة الدعاء، ومما ورد عنه في بعض ادعيته: ((اللّهُمّ صَلِّ عَلَى مُحَمّد وآله، وَحَصّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزّتِكَ، وَأَيّدْ حُمَاتَهَا بِقُوّتِكَ، وَأَسْبِغَ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ)) (الفياض، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

خامساً. الامام محمد بن عليّ عليه السلام (ت: ١١٤-١١٦هـ/ ٧٣٢-٧٣٤م).

وفي عهد اعتنى بجهاد العلم ووردت عنه بعض المأثورات في فضل الجهاد (الكاظمي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). ويبدو ان ميل الامام الى رعاية العلم لمقاومة ظلم الدولة الاموية وولادتها.

سادساً. الامام جعفر بن محمد (عليه السلام) (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م).

وفي ظل الامام الصادق وردت عنه بعض المأثورات في فضل الجهاد فضلاً عن انه في عهده رعى العلماء رغبة منه في جهاد الظلم والانتصار عليه (حسين، ١٤١٧هـ/

١٩٩٦م؛ السماوي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م؛ الصدر، د.ت؛ الفياض، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٥٥). وظل الائمة بعد وفاة الامام الصادق والى غيبة الامام المهدي (عجل الله فرجه) محافظين على فكر الجهاد وان تعددت ادوارهم في فضله (سبط ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م؛ حرز الدين، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ج٢، ص٢١).

المحور الثاني: مواقف اسلاف الامامية من فتوى الجهاد.

ان تطور الشيعة للحكم الشرعي في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) من الرسول الاعظم (صل الله عليه وسلم) الذي بلغ عن الله تعالى ثم النص من الرسول (صل الله عليه وسلم) على الائمة المعصومين (عليهم السلام)، ثم ارجاع المعصوم الى السفراء الاربعة ثم الرجوع الى الفقهاء المجتهدين العادلين اي لطبقة معينة من الناس بمواصفات معينة (كاشف الغطاء، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م، ص٤). وكان لمعظم رجال حركة التجديد والاصلاح في العراق خلال القرنين الميلاديين من علماء الشيعة المجتهدين، فضلاً عن ان معظم فتاوى الجهاد ضد الاستعمار صدرت من العراق (الفياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص١٩٤). ومن بين الفتاوى التي اصدرها بعض مراجع الدين كان لها اثراً مشرفاً ضد الاستعمار.

فتوى تحريم التبغ / التنباك:

منح امتياز التبغ في ايران اثناء عهد ناصر الدين شاه القاجاري الى الاستعمار البريطاني وذلك نتيجة لمشورة خاصة ولرغبته الى الارتماء في احضان الاستعمار، غير ان يقظة المجتهد السيد حسن الشيرازي (ت: ١٣١٢هـ/ ١٨١٤م) حالت دون تدخل الاستعمار لهذه البلاد المسلمة، ومما ورد عنه من مأثورات في تحريم الامتياز: (لأن فيه .. للاسلام التيار والهلاك) (الفياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص١٩٥). وهذا ما يدل على الجهاد.

موقف المرجعية من الحركة الدستورية في ايران:

وردت بعض البرقيات المتبادلة بين علماء ايران والعراق، رغبة منهم في ابداء رأيهم في قوانين المجلس الا ان محمد بن علي الشاه كان مصمماً على انهاء الحياة الدستورية معتمداً في ذلك على الروس، وكان هذا التصرف بنظر علماء الشيعة ليست عودة الى

الدكتاتورية بل هو مشروع استعماري يهدف الى فرض الارادة الاجنبية على بلد اسلامي (الدعمي والعسكري، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م، ص٧).

موقف المرجعية من الاحتلال الايطالي في ليبيا:

ان المرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم واتبعت شعار انصر اخاك المسلم المستضعف تحت رحمة من لا يرحم، فان جرائم الجيش الايطالي بقيت عار في شرف الجندية الايطالية، وبينت همجية تلك القوات التي تدعي بان جذورها ترتبط بالامبراطورية الرومانية المقدسة التي هي رمز للحضارة والمدنية الاوربية (العزاوي والنداوي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٥٢٦). وهذا ما يدل على بعد النظر للمرجعية الدينية ومواقفها النبيلة المشهودة تجاه المسلمين عامة ورفضها للظلم والاستعباد من قبل الاستعمار بشتى الوانه وادواره ولم يقتصر دور المرجعية الرشيدة على مناصرة اخوانهم بالقول بل تعداه الى الفعل وعملت في سبيل ذلك في تنبيه الدولة العثمانية لخطر الاستعمار الايطالي ومن جهة اخرى عمدت الى تخفيز المجاهدين في نصرة اخوانهم ضد الاستعمار وكانت للعشائر العراقية موقف مشرف اذ جمعت التبرعات من بعض شيوخ العشائر (العزاوي والنداوي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥؛ العزاوي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

موقف المرجعية من الاحتلال البريطاني في العراق:

وفي واواخر عصر الدولة العثمانية واثناء اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٣٢٣-١٣٢٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م) وعندما بلغت انباء احتلال الفاو وتقدمت الجيوش البريطانية نحو البصرة وبذلت الدولة العثمانية جهوداً كبيرة لكسب علماء الدين في النجف وكربلاء وبقية المدن العراقية وحثهم على اعلان الجهاد والتصدي لقوات الاحتلال البريطاني وعملت كل جهدها لاجل تحريض علماء الدين للانظمام الى حركة الجهاد، وصورت الحرب بانها حرب اسلامية ضد الكفار (العقيلي، د.ت، ص٣٤). ومن ذلك ارسلت السلطات العثمانية في البصرة برقية الى علماء الدين في النجف الاشرف ومختلف المدن العراقية وورد فيها: ((ثغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع

تحت السلاح، نخشى على بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر في الدفاع)) (العقيلي،د.ت، ص٣٤).

يتضح لنا من خلال الحديث ان المرجعية كانت حريصة على مصالح المسلمين ضد الاستعمار في حين الدولة العثمانية ترغب في الحفاظ على اهميتها العسكرية ولا تبالي في مصالح المسلمين، وارسلت الدولة العثمانية وفداً رفيع المستوى من بغداد الى النجف الاشرف للتحدث مع المراجع في امر الجهاد واستقبل الوفد في جامع الهندي حضرة الكثير من علماء الدين والوجهاء ورؤساء العشائر واكدوا في الاجتماع على ضرورة اشتراك الدولة العثمانية المسلمة في دفع الاحتلال البريطاني عن بلاد الاسلام (العقيلي، د.ت، ص٣٤؛ الرهيمي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

وبناء على ذلك اصدر علماء الدين فتوى بوجوب الدفاع عن دار الاسلام، وتطالب العشائر العراقية بالوقوف بوجه المحتل البريطاني، استجابت معظم العشائر العراقية لحركة الجهاد على الرغم من ان البعض من هذه العشائر كانت غير راضية في الدفاع عن الدولة العثمانية بسبب ممارساتها التعسفية ضد العشائر العراقية (الفضيلي، د.ت، ص٣٥؛ العزاوي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

الا ان نشاط السيد محمد سعيد الحبوبي (ت: ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٥م). اقنع الكثير من زعماء العشائر العراقية بالاشتراك في الجهاد (الخليلي، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ج١، ص٢٦٩؛ العقيلي، د.ت، ص٣٥).

وبعد ذلك وصلت جموع المجاهدين الى النجف الاشرف وما ان تجمعت اول قوة حتى انطلقت بقيادة محمد سعيد الحبوبي متوجهك الى منطقة الشعيبة (العقيلي، د.ت، ص٣٥). ولابد لنا من ان نشير للمرجعية الرشيدة الاثر الطبي في الحفاظ على المسلمين ومصالحهم والوقوف بوجه الاستعمار اذ عملت على حث العشائر العراقية للجهاد.

وفي عصر الجمعة ١٥ تشرين الثاني ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م انطلقت اول قافلة للمجاهدين متوجهة الى منطقة الشعيبة، ولم تكن كل الظروف الميدانية في صالح المجاهدين، اذ سرعان ما انسحبت القوات العثمانية وعجزت عن صد القوات البريطانية المتقدمة باتجاه

مدينة البصرة قبل احتلالها في ٢٢ تشرين الثاني ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤ م (العقيلي، د.ت، ص٣٥).

بعد ان احتلت القوات البريطانية مدينة البصرة، تحركت افواج المتطوعين من ابناء عشائر الدليم والاكراد والفرات الاوسط فضلاً عن عشائر المنفق ووصلوا الى شمال مدينة الشعيبة في ٢٢ كانون الثاني ١٣٣٤هـ/١٩١٥م واتفقت العشائر مع القيادة العثمانية على مقاتلة البريطانيين من ثلاثة محاور هي:

- المحور الاول: يتجه الى الشعيبة عن طريق السماوة.
- المحور الثاني: يتجه عن طريق الجزيرة الى النعمانية ثم الى العزير.
- المحور الثالث: اتجه نحو العمارة الى نهر الكارون من الاحواز (الفياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م؛ العقيلي، د.ت، ص٣٥).

وبدأ هجوم العشائر على المواقع البريطانية في ١٢ نيسان ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م واستمرت المناوشات بين الطرفين لمدة ثلاثة ايام، ثم شن البريطانيين هجوماً كاسحاً على القوات العثمانية، واشتبكت العشائر الراية بالسلاح مع القوات البريطانية، ولم يقتصر الامر على عشائر وسط وجنوب العراق بل كان لبغداد موقفاً مشرفاً للجهاد الا العثمانيين وقد خذلوا رجال الدين وانسحبوا عن بغداد مما سهل على البريطانيين دخولها (العقيلي، د.ت، ص٣٥؛ الخليلي، ١٤٤٠ه/٢٠١٩م). وفي ظل الاحتلال البريطاني في العراق (١٣٣٦-١٣٧٨ه/ ١٩١٧-١٩٥٨م) اخذت الحركة الوطنية في تنامي لدورها ومعاضدة رجال الدين اذ اتخذت من المناسبات الدينية في العراق بالاستعمار ومساوءه (القيسي، ١٤٤٣ه/٢٠٢١م).

وتوجت هذه الاجتماعات باندلاع ثورة العشرين الخالدة ضد الاستعمار البريطاني، اذ افتى المرجع الميرزا محمد تقي الشيرازي (ت: ١٣٣٩ه/١٩٢٠م) بضرورة قيامها والمحافظة عليها واستمرت لهيب الثورة لاشهر عديدة برهنت فيها قوى العشائر عن مواقف بطولية غير ان عدم تكافئ القوى البطولية امكنت البريطانيين من القضاء على الثورة (الفياض، ١٩٩٥ه/١٩٧٥م؛ الجابري، ١٤٤٣ه؛ القيسي، ١٤٤٣ه/٢٠٢١م).

وبعد قضاء الاستعمار على ثورة العشرين، عمد الى التفريق بين المرجعية الدينية وزعماء العشائر العراقية وذلك رغبة منه في ضرب الصف الوطني ومن جهة المرجعية فقد ظلت خلال فترة الاحتلال البريطاني للعراق وفي ظل العهد الملكي صوت الشعب ضد الظلم اذ كانت لها مواقف مشهودة في هذا المضمار (العقيلي، د.ت). ويبدوا ان البريطانيين قد ادركوا ان تفريق الوحدة الوطنية العراقية في جانب مصالحهم.

وفي العهد الملكي لت المرجعية احترامها من قبل الشعب غير ان الساسة في بغداد حاولوا الاصطدام بها ولا سيما في عهد المرجع الشهيد الاول محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠ه/١٩٧٩م) وظلت المرعية بمواقفها المشهودة في عهد المرجع ابو القاسم الخوئي (ت: ١٤١٢ه/١٩٩١م) ولا سيما فتوته المشهورة في الدفاع عن بيضة الاسلام (كاشف الغطاء، ١٤٤٣ه/ ٢٠٢١م).

وظلت المراجع الدينية في نهجها للحفاظ على مصالح المسلمين الى وقتنا الحاضر، ولا سيما في فتوى الجهاد الكفائي والتي صدرت عن السيد علي السستاني (دام ظله) والتي بدورها دفعت الاخطار عن البلاد والعباد (كاشف الغطاء، ١٤٤٣ه/٢٠٢١م؛ الكاظمي، ١٤٤١ه/٢٠٢٠).

المحور الثالث: تأسيس الحشد الشعبي ودور فتوى المرجعية في تحقيق الانتصارات

لابد لنا من ان نشير في البدء الى ان دور المرجعية الرشيدة في اصدارها لفتوى الجهاد الكفائي والتي تبث فيها روح المعنوية عند العراقيين اذ بذلوا في سبيل الله تحرير المحافظات الغربية كل غالي ونفيس وفيما بعد انبثقت عن الفتوى مؤسسة تعني بشؤون المقاتلين وتهيأ لهم مستلزمات للنصر الا وهي مؤسسة الحشد الشعبي (الكاظمي، ١٤٤١ه/٢٠٢٠م).

والى الذين يبحثون عن الاجوبة ولا يثيرون سوى الاسئلة تلك هي الحقيقة الناصعة التي لا يحجبها غربال وان لم يرها بأم عينه فعليه تغيير بؤبؤها اذ لم يكن ظهور الحشد الشعبي مصادفة عمياء بل كان هزة ارتدادية للوضع الفاسد (راضي والمحمداوي، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م).

وحينما احتاج البلد الى الفرسان وليس المهرجين واما الذين سرقت عقولهم راحوا يطعنون الحشد الشعبي بكل كلمة مدببة فاولئك يبحثون عن عزاء كلاب تنبح في وجه السماء، وما عسانا ان نقل لهم اذ كان ثمة خلل كبير في ميزان احساسهم الداخلي (راضي والمحمداوي، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م).

لابد لنا من وقفة قليلة امام رأي الباحثين الجليلين إذ على الرغم من الاسلوب الادبي الذي طغى على ارائهم غير اننا نلاحظ محاولاتهم الجادة في تخليد الحشد الشعبي وبطولاته من جهة واسكات جميع اصوات النشاز التي تنادي بضرورة حل مؤسسة الحشد الشعبي والخلاص منه من جهة اخرى وذلك لانهم لم يتمكنوا من انشاء عسكراً لذا عمدوا الى اسلوب الاعلام والدعاية المغرضة ضده للتقليل من اهميته يحيون العراقيين ويبقى الحشد الشعبي كابوساً بورق منامهم والى الذين يعيشون بضمير متصل الذين يسجلون اسمائهم في سفر الخلود، ونوجه خطابنا دائماً فنقول ايضرّكم ما يحيط بكم من ظلام طالما النهار في دواخلكم، فميزانُ قوة أعدائكم مرجوح، وذبّاحهم مذبوح ، وصوتُهم مبحوح، وهم أمام الرمال المتحركة للشعب مُبتلَعون.(راضي والمحمداوي، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م).

ومن الكلمات المشهودة في حق الحشد وتضحياته:

أمل من دمعها العذر يتعذر
احنه ندري الوطن يحتاج الرجال
ويحتاج الزلم لو يغدر الخنجر
يالتشكف رصاص بعينك الحلوة
عينك من تصد للموت لا يسكر
الله وياك (الاصيل، ١٤٣٩ه/٢٠١٨م).

ويسألونك عن الحشد الشعبي السند الظهير للجيش العراقي، نذروا الانفس وترك الدنيا وما يملكون فيها من عيال واموال تحملوا الاشاعات المغرضة كلها، ابطال في ساحات القتال لا يعرفون معنى الخوف او التردد، تحملوا حرارة الشمس في الصيف وبرودة

الشتاء، انهم ابطال الحشد الشعبي يخطون بدمائهم الزكية لوحة فنية امتزج فيها دماء الابطال منهم لتحمل عنوانا لن يستطيع احد اسكاته الحشد للعراق الواحد الموحد(الكعبي، ١٤٣٦ه/٢٠١٥م).فهم يقاتلون من اجل أهلهم في محافظات ديالى وتكريت والانبار وهم من محافظات الجنوب والفرات الاوسط لن يعترفوا بهذه الحواجز والمسميات التي جاء بها سياسيو الحقد الدفين وممن لهم الحصة الاكبر من الفريسة التي اغتصبت وهجرت وقتلت ولا تعرف ما السبب؟ (الكعبي، ١٤٣٦ه/٢٠١٥م).

الحشد الشعبي جاءوا وفي هدفهم الوحيد النصر على جرذان عصابات داعش لإنقاذ اخوانهم واهلهم في المحافظات المحتلة واخيرا سأقولها وليتذكر الجميع: سيخلد التاريخ من ارسوا سفن السلام وسقوا شجرة الوحدة بدمائهم من اجل الوطن وسيلعن من باعوا الوطن وساوموا عليه من اجل مصالحهم (الكعبي، ١٤٣٦ه/٢٠١٥م).وبخلاف ذلك اخذت الدواعش تشكيل الدين وفق اهوائهم فقتلوا الناس يميناً ويساراً باسم الدين وهو منهم براء (الموسوي، ١٤٣٦ه/٢٠١٥م).

فكان النداء صرخة في وجه الظلم والهمجية التي أرادت بشعبنا الأذى، ولكن أبناءنا من الحشد الشعبي والقوات الأمنية أبوا ألا يحصل ذلك، فتناخوا فيما بينهم، وسحقوا رؤوس الخونة والارهاب من الدواعش التكفيريين ومن لف لفهم، فهنيئاً لهم هذه المواقف العظيمة التي تقدموا بها وضربوا أوكار الأعداء في كل مكان تواجدوا فيه، رحمة ونور على ارواح شهدائنا الابرار الذين قدموا انفسهم فداءاً للوطن (الموسوي، ١٤٣٦ه/٢٠١٥م).

الخاتمة:

كنا قد انتهينا من كتابة البحث (فتوى الجهاد بين التراث والمستقبل) وقد توصلنا الى النتائج الآتية:

- ان النبي (صل الله عليه واله وسلم) لم يعتمد الى اتباع سياسة الجهاد مع قريش الا بعد استنفاذ الوسائل السلمية معهم.

- اتخذه أئمة اهل البيت (عليهم السلام) فكراً مغايراً عن الجهاد لما شاهدناه عن حركة الفتوح.
- ان اسلاف الامامية كانت لهم مواقف مشرفة في الجهاد والدفاع عن الاسلام ضد الاستعمار بشتى تسمياته.
- كانت للمرجعية مواقف مشهودة في العهود الملكية والجمهورية وحتى الاحتلال الامريكي للعراق.
- كانت لفتوى الجهاد الكفائي ملدن المرجعية الرشيدة في النجف الاشرف التي اذهلت العالم وبذل العراقيين في الجهاد اسمى الغايات وضحوا بالانفس والاموال.

وفي الختام نتمنى ان اكون قد وفقت في الكشف عن ثنايا البحث

المصادر:

- صلاح عدنان ناصر سلومي، (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، تضحية الذات لدى منتسبي الحشد الشعبي العراقي، جامعة واسط كلية التربية الاساسية.
- عبد الله الفياض، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، مجلة رسالة الاسلام، الفدائيون من اهل الشعور وواجبنا نحوهم، بغداد، كلية اصول الدين.
- ابو البقاء الحنفي ايوب بن موسى الحسيني القديمي الكفوي، (د.ت)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابراهيم مصطفى واخرون، (د.ت)، المعجم الوسيط، المجلد (د.ط)، القاهرة، دار الدعوة.
- ابو حبيب سعدي، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط٢، دمشق، دار الفكر.
- عبدالملك بن هشام، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، سيرة ابن هشام، ط١، طنطا، دار الصحابة للتراث.

• محمد الخيراوي، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، مفهوم الجهاد في الاسلام، المجلة البحثية للعلوم الانسانية والاجتماعية، فلسطين مؤسسة خالد الحسن.
• احمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني، ط١، السعودية، دار العاصمة.
• محمد بن عمر بن وافد (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، المغاري، ط١، بيروت، عالم الكتب.
• احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، فتوح البلدان، ط١، بيروت، دار الكتب.
• احمد الوائلي، (١٤٠٣هـ/ ٢٠٠٩م)، مجالس ومناظرات الوائلي- سير المعصومين من ال محمد عليهم السلام، ط١، بيروت، دار المرتضى.
• يوسف بن قزعلي بن عبدالله سبط الجوري، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الامة في خصائص الائمة، ط١، بيروت، مكتبة الثقافة الدينية.
• عبدالله الفياض، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، الحركة الفدائية في الاسلام قديماً وحديثاً، د.ط، كربلاء، اهل البيت.
• علي الوردي، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، وعاظ السلاطين، ط٢، لندن، دار كوفان.
• طه حسين، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، الفتنة الكبرى، ط١، مصر، دار المعارف.
• توفيق سلطان يوزبكي، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دراسات في النظم العربية والاسلامية، ط١، بغداد، المكتبة المركزية.
• مرتضى العسكري، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، معالم المدرستين، ط٥، بغداد، كلية اصول الدين.
• عبدالله الفياض، (١٩٦٧م)، محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية، ط١، بغداد، مطبعة الارشاد.
• محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي، (١٩٦٦م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ط١، بيروت، دار صادر.

• عبدالله الفياض، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري، ط١، بغداد، مطبعة اسعد.
• علي بن حسين، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، بيروت، دار الاندلس للطباعة والنشر.
• يحيى بن الحسن المدني العبيدلي، (١٤٣٧هـ/٢٠١٥م)، المعقبين، ط١، قم المقدسة، دار الكتاب الاسلامي.
• احمد بن علي بن عنبة، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، عمد الطالب في انساب ال ابي طالب، ط١، قم، مؤسسة، انصاريات.
• عماد الكاظمي، (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، السلسبيل المعين في توجيهات المرجعية للمقاتلين، ط١، فم المقدسة، دار الرافد.
• امين الدين بن الحسن، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، اعلام الورى باعلام الهدى، محاور سير النبي والائمة عليهم السلام، ط١، قم، احياء التراث.
• محمد التيجاني السماوي، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ثم اهتديت، ط٨، قم، مؤسسة انصاريات.
• حسن الصدر، (د.ت)، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ط١، د.م، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة.
• محمد حرز الدين، (١٣١٧هـ/١٩٥١م)، مراقد المعارف في تعيين مراقد العلويين والصحابة والتابعين والرواة والعلماء والادباء والشعراء، ط١، قم، المكتبة الاسلامية.
• عباس علي كاشف الغطاء، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، مشروعية فتوى الدفاع المقدس، بحث منشور ضمن مؤسسة كاشف الغطاء العامة، النجف الاشرف، مؤسسة كاشف الغطاء.
• رنا سليم شاكر العزاوي ووائل جبار عوده النداوي، (١٤٣٧هـ/٢٠١٥م)، فتوى الجهاد للمرجعية الدينية في النجف ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا عام ١٩١١م، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، بابل، جامعة بابل.

• نديم عيسى الجابري، (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، العراق اول دولة في التاريخ، ط١، بغداد، مكتبة النهضة العربية.
• علاء حسين الرهيمي، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، المعارضة البرلمانية في عهد الملك فيصل الاول، ط١، بغداد، بيت الحكمة.
• عباس العزاوي، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، عشائر العراق، ط٢، بيروت، مكتبة الحضارات.
• طارق مجيد تقي العقيلي، (د.ت)، مقدمة في تاريخ العراق السياسي المعاصر، د.ط، بيروت، مطبعة العالمية المتحدة.
• جعفر الخليلي، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، موسوعة العتبات المقدسة، قسم الكاظمين، ط١، بغداد، دار الكفيل.
• عبدالله الفياض، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، ط٢، بغداد، دار السلام.
• معن فيصل القيسي، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، جامع الحيدر خانه واثره في الحركة الوطنية العراقية (١٩١٤-١٩٣٢)، ط٢، بغداد، دار ومكتبة البيارق.
• علي محسن راضي وكاظم جويد المحمداوي، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، مجلة وكالة انباء براثا، كلمة بحق الحشد الشعبي، بغداد. وكالة انباء براثا.
• رامي الاصيل، (١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م)، كلمات بحق الحشد الشعبي.. اهداء الى شهداء الحشد الله وياك، مجلة كوثر، بغداد.
• حميد الفصل الكعبي، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ويسألونك عن الحشد الشعبي، جريدة الزمان، بغداد.
• كرار حيدر الموسوي، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، الحشد الشعبي المقدس الوطني، مؤسسة الحوار المتمدن، بغداد.